دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	قشلة بغداد : تاريخها، تخطيطها، عمارتها
المصدر:	مجلة جامعة الانبار للعلوم الإنسانية
الناشر:	جامعة الانبار - كلية التربية للعلوم الإنسانية
المؤلف الرئيسي:	الدراجى، سعدى إبراهيم
المجلد/العدد:	ع1
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2018
الشهر:	آذار
الصفحات:	18 - 36
رقم MD:	933028
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	التراث المعمارى، قشلة بغداد، التاريخ الثقافى، العراق
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/933028

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

قشلة بغداد (تاريخها ، تخطيطها، عمارتها)

أ.م.د. سعدي إبراهيم الدراجي
جامعة بغداد - مركز احياء التراث العلمي العربي

المستخلص

تعالج هذه الورقة الناحيتين التخطيطية والعمارية في بناية قشلة بغداد، بعد الوقوف على تاريخها ونمط تخطيطها وطبيعة بنائها بمنهج وصفي مقتضب، بالاعتماد على مشاهدات الباحث من خلال الزيارات الميدانية للاطلاع على أخر أعمال الصيانة التي أسهمت برفع جميع الكتل المضافة في القرن الماضي بوصف القشلة كانت حاضنة لمعظم دوائر الدولة العراقية منذ بداية تأسيسها، لهذا شهدت تحويرات وزيادات كثيرة تم رفعها في محاولة للعودة بهذه المؤسسة العسكرية إلى الأصل لتكون معلما تراثيا في عاصمة الثقافة بغداد.

إن أهمية الدراسة تكمن في معرفة الواقع التخطيطي للقشلة وعلاقته بالأبنية المجاورة، ومقارنة تخطيطها بما توافر من معلومات ومخططات وصور عن قشل متزامنة معها في التاريخ في العراق والوطن العربي ومنها قشلة في كل من كركوك وبيروت ودمشق وبنغازي. مع التركيز على الجوانب الفنية لمعرفة مدى التأثيرات الوافدة إليها.

Abstract

The importance of the study lies in the knowledge of reality schematic Qishla and its relationship to buildings nearby, and compared to planning, including the availability of information and diagrams and pictures about Akecl sync with her in the history of Iraq and the Arab world, including Qishla in each of Kirkuk, Beirut, Damascus and Benghazi. With a focus on the technical aspects to see how the incoming effects. Among the benefits of research is to confirm the identity of architecture-Baghdadi, who contributed to the construction, as is evident through the local materials used in the construction of walls and complementary elements. As well as the method of construction bricks, plaster and roofing methods Baloaqbih or wood.

أهمية قشلة بغداد وتاريخها:

بعد ان خضعت بغداد للسيطرة العثمانية في عهد السلطان سليمان القانوني عام ١٥٣٤م، اتخذ العثمانيون في أول عهدهم القلعة الداخلية المعروفة بـ (ايج قلعة سي) مقرا للحكم، والتي أنشئت في الركن الشمال الغربي داخل الأسوار على ضفاف دجلة الشرقية. في

مكان وزارة الدفاع القديمة. وبجانبها انشأ السراي وقوامه مجموعة من الأبنية أقامها الوالي بكتاش خان (١٦٣١ ـ ١٦٣٨م) وذلك في عهد السيطرة الصفوية على بغداد(١).

لقد جرى على السراي تعميرات كثيرة في عهد الوالي العثماني سليمان باشا الكبير عام ١٨٠٢م وأصبح يضم قصر الباشا ومعظم الدوائر العامة ذات المرافق الواسعة لحاشيته واصطبل. كما شهد السراي تعميرا أخر واسعا في عهد داوود باشا سنة ١٨٢٠م، فقد جدد مدخله وبعض أقسامه وزوده بأحسن الأثاث وأفخر السجاد والستائر الحريرية وزين جدرانه وسقوفه بقطع الخشب المحفور والمطعم بالذهب(٢).

وبعد سقوط المماليك عام ١٨٣١م وعودة بغداد إلى الحكم المركزي بدا التفكير جديا في أقامة أبنية بعضها ذات طابع مدني وأخرى عسكري ومنها القشلة التي أقيمت بلصق السراي لتكون ضمن هذا المجمع الكبير الذي يضم جميع الدوائر ذات الصلة بالمؤسسة العسكرية في بغداد. وهي اليوم قرب شارع المتنبي في وسط بغداد تطل على ضفاف دجلة الشرقية.

إن معظم أبنية السراي التي مازالت قائمة ومعها القشلة، بنيت في زمن الوالي نامق باشا الكبير وبالتحديد خلال فترة حكمه الأولى لبغداد التي امتدت عامين تقريبا (١٨٥١-١٨٥٢م)، وكان عسكريا وإداريا نال منصب المشيرية لفيلق العراق والحجاز ثم حصل بعدها على ولاية بغداد(٣). وقد بنى نامق باشا القشلة بطابق واحد لتأوي ألاف الجنود المشاة في فصل الشتاء. ثم أكملها والي بغداد الشهير مدحت باشا ((١٨٦٩-١٨٧٢م)) الذي بنى طابقها العلوي بعد أن نقض سور بغداد الشرقية لاستفادة من أجرة في البناء. كما وضع ساعة وسط ساحتها لأيقاظ الجنود محمولة على برج عال (٤).

وقد زار السراي وتجول في القشلة رحالة معاصر اسمه وليم فوك وذلك سنة ١٨٧٤م وقد وصف القشلة بأنها بناء ضخم يلاصق السراي على شاطئ دجلة وقوامه ثكنات تستوعب عدة ألاف من الجند(٥).

تعرضت القشلة إلى حملات من الصيانة لتعمير ما أصابها من خراب نتيجة الإهمال والتقادم فضلا عن الأضرار الجسيمة التي أتت على سقوفها وجدرانها الخارجية نتيجة العمليات العسكرية التي شهدتها بغداد بعد الاحتلال الأمريكي عام ٢٠٠٣م. والتفجيرات في شارع المتنبي والتي طالت جزا من الواجهة الأمامية المطلة على الشارع الرئيس وقد تأثرت بسببها السقوف وقلعت بعض الشبابيك. وأخر صيانة كانت في عام ٢٠١٢م حيث شملت جميع البناية التي جدرانها وسقوفها وبرجها مع إزالة كل الإضافات الطارئة على البناية أو المستحدثة فيها من قبل بعض الوزارات التي شغلتها في مختلف العهود.

ولأهمية مبنى القشلة فقد بقي مشغولا منذ نشأته ولحد ألان، فبعد أن كان ثكنة عسكرية في زمن الدولة العثمانية ومربطا للخيل، شهد ولادة أول متحف وطني في العراق عرضت آثاره في احد قاعاتها الكبيرة، ووظف المبنى لبعض إدارات الدولة حيث شغل من قبل وزارة العدل والمحاكم العراقية على اختلاف تخصصاتها ردحا من الزمن، ثم شغل من قبل مديرية المعارف قبل أن تصبح وزارة في الحكومة الوطنية. ووزارة المالية والمديريات التابعة لها. واستغل جيش الاحتلال البريطاني بعد السيطرة على بغداد مبنى القشلة في أول عهدهم مسكنا للضباط ورفعوا على برجه العلم البريطاني. كما شهد تتويج الملك فيصل الأول ملكا على العراق عام ١٩٢١م(٦). وقد بقي مهملا يوظف وفق الأهواء يزاد فيه البناء ليكون صالحا للاستعمال حتى إعلان أثريته عام ١٩٨٩م ليصبح احد المعالم التراثية في بغداد.

ومن المفيد الإشارة إلى إن القشلة أو القشلاق في مصادر اللغة لفظة تركية بمعنى (المشتى)، وصارت فيما بعد اصطلاحاً يطلق عل ثكنة الجند، أي مكان تعسكر الجند وعدم خروجهم للحرب في فصل الشتاء(٧). وتعرف أحيانا بقشلة البيادر أي ثكنة الجنود المشاة.

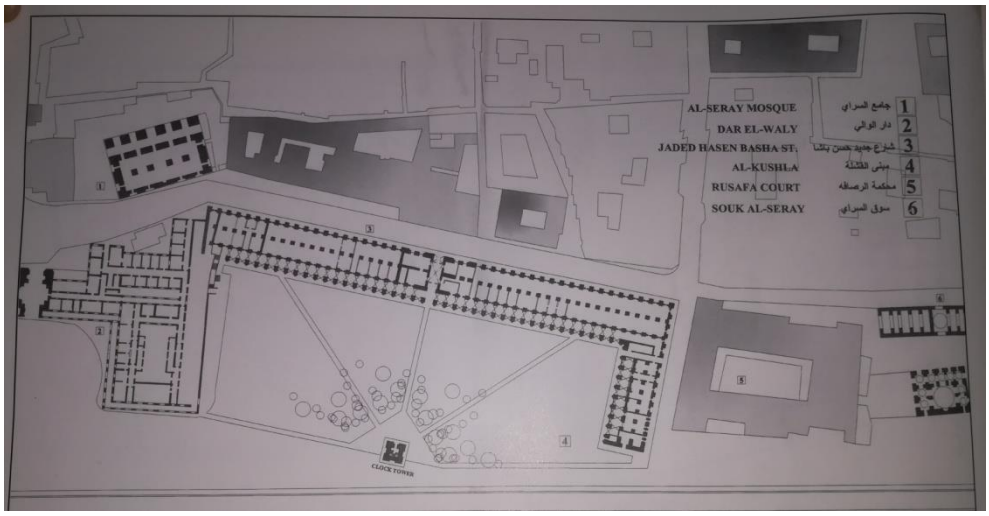

(المخطط - ١) موقع القشلة والسراي وعلاقتهما بالابنية المجاورة / عن وزارة الثقافة

التخطيط : (المخطط - ١)

بادئ ذي بدء يجب الإشارة إن قشلة بغداد تنفرد بتخطيطها الذي فرضته المساحة المخصصة للبناء الموقعة في وسط الأبنية القديمة ذات الصفة العسكرية والتجارية والخدمية والإدارية. فجاءت بلصق السراي من جهته الجنوبية حيث رسمت أبنيتها جناحين احدهما طويل امتد من الشمال إلى الجنوب والأخر قصير تعامد على الأول ليرسم معه زاوية قائمة تنفتح نحو الجهة الجنوبية الشرقية ويشكل في الوقت نفسه تخطيطا يشبه الحرف ألاتيني L. (المخططان ٢،٣) وقد استطاع المعمار من خلال هذا التخطيط أن يستغل جميع المساحة ويترك متعمدا صحنا واسعا يصلح لإقامة جميع الفعاليات ذات الصلة بالأمور العسكرية والتدريب، ويخصص جانبا منه إسطبل للخيل. (الصورة - ١)

وإذا تخيلنا إن القشلة كانت تتصل بالأبنية الجنوبية للسراي التي كانت تمثل مجلس الوزراء للحكومة العراقية في العهد الملكي والباقية حتى الوقت الحاضر، يكون تخطيطها مستطيل مفتوح من جهة نهر دجلة الذي تكفل بحمايتها على مر الحقب التاريخية. لاسيما وان صحن القشلة يمتد مع صحن السراي حتى المسناة التي تطل على دجلة.

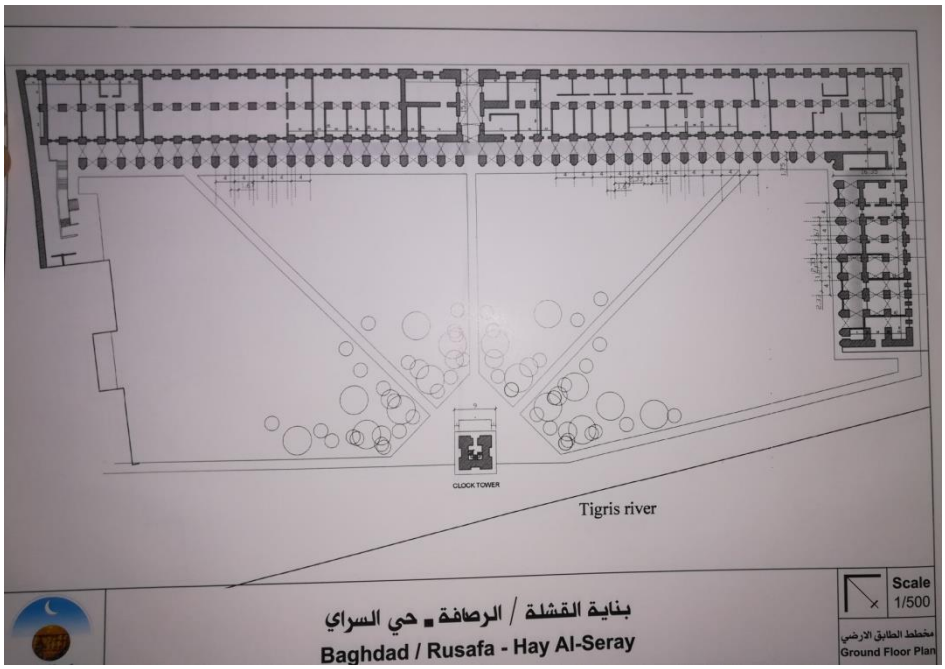

(المخطط ـ ٢) قشلة بغداد / الطابق الارضي/ عن وزارة الثقافة

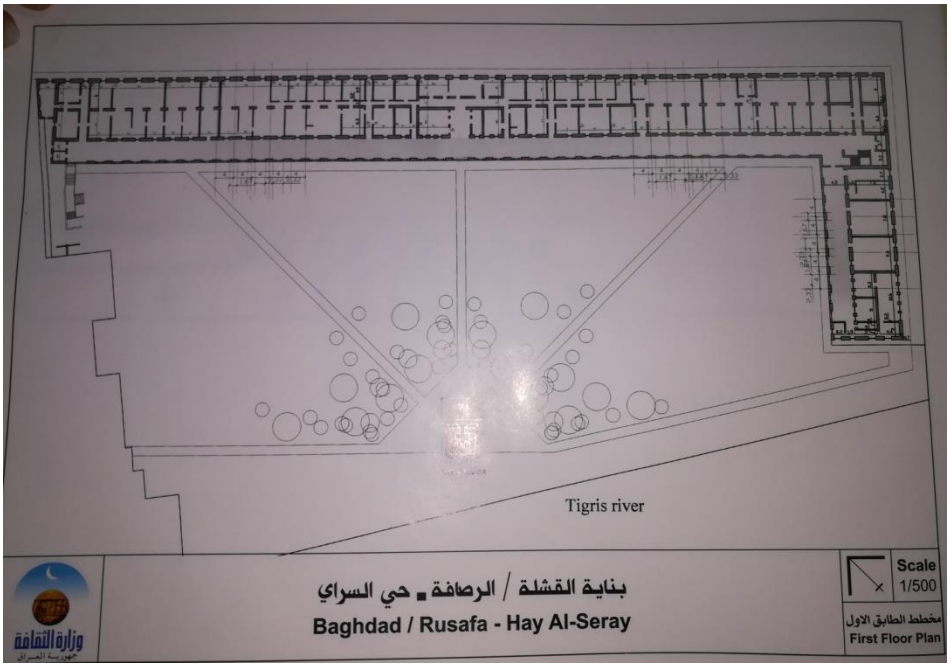

(المخطط ـ ٣) قشلة بغداد الطابق العلوي/ عن وزارة الثقافة

وقوام البناء في الجناح الطويل أربع قاعات كبيرة استخدمت مهاجع للجند موزعة على الطابقين تفصل بينهما كتلة المدخل الرئيس الذي يتوسط البناء. ويتقدم كل طابق رواق يطل

على الصحن بعقود نصف دائرية. أما الجناح الجنوبي فجله في الأصل بهو ومطعم للضباط في داخله مطبخ شغل طابقه الأرضي، فضلا عن بعض الحجرات الكبيرة. في حين خصص طابقه العلوي للإقامة ذوي الرتب العسكرية من الضباط العثمانيين. وهو لا يختلف في عمارته عن الجناح الأخر في الجهة الشرقية.

(الصورة - ١) القشلة من الداخل

الواجهة والمدخل :

يجب التنويه أن للقشلة مدخل رئيس وأخر ثانوي صغير يتوسط الجناح الجنوبي. وطبيعي ان يكون الأول متميزا بعمارته صمم على شكل كتلة بارزة عن سمت الجدران يتوسطها فتحة المدخل المتوجة بعقد نصف دائري، ويعلو هذا العقد سلسلة من النوافذ مستطيلة الفتحات وجدت لإضاءة البهو الذي يتوسط البناء في الطابق العلوي، وأخرى متوجة بعقود نصف دائرية لإضاءة البهو في الطابق الأرضي. وكتلة المدخل متوجة بشكل مسنم من البناء على الطراز الأوربي الذي شاع في عصر النهضة، المتأثر بدوره بالمداخل الرومانية الفخمة التي كانت تتوج عادة بقوصرة (pediment) أو كما تسمى أحيانا بالجبين المثلث(٨). (المخطط - ٣)

لقد راعا المعمار في الواجهة مبدأ التناظر فحرص على أن تكون الطلعات والدخلات فيها متناسقة وتوزيع النوافذ الواقعة على جانبي المدخل وفوقه في الطابقين متناظرة بالتوزيع والشكل والتصميم، ليؤكد هوية المعمار العراقي الذي تاثر بواجهات الأبنية العباسية في بغداد.

إن واجهة القشلة مزينة بأبراج صلدة زادت البناء متانة وقوة وفخامة وجمال وفي الوقت نفسه ساعدت على تقليل الرتابة وأضفت عليها نوعا من الحركة. والأبراج الخارجية مستطيلة المقطع بارزة عن سمت الجدران بمقدار٨٠سم ومتوجة بشرافات محمولة على كوابيل أو مساند متصلة بعضها مع بعض بعقود. وقد ترك معظم الطابق الأرضي من جهة الشارع غفلا من النوافذ الكبيرة وربما كان السبب في ذلك هي الدواعي الأمنية واستعاض عنها بقماري على شكل فتحات دائرية صغيرة عليها شبابيك من الخشب مغشاة بالزجاج. (الصورة - ٢)

(الصورة - ٢) الواجهة الخارجية المطلة على شارع جديد حسن

وجل الواجهة الداخلية رواق ينفتح على الصحن بعقود منخفضة نسبيا لان قطاعها اقل من نصف الدائرة. والعقود في الطابقين محمولة على أكتاف فخمة مزينة بأبراج نصف اسطوانية مندمجة بالأكتاف الحاملة للعقود منفذة في عهد نامق باشا. والأبراج اسطوانية قطرها ١.١٥م تجلس على قواعد مربعة ومتوجة بشرافات محمولة على كوابيل تشبه الشرافات التي تعلو أبراج الواجهة الخارجية. ارتفاعها بارتفاع الطابق الأرضي ما عدا الأربعة الوسطية التي ترتفع بارتفاع الطابقين وتمثل كتلة المدخل. (الصورة - ٣) (المخطط - ٥)

(الصورة - ٣) الواجهة الداخلية المطلة على النهر

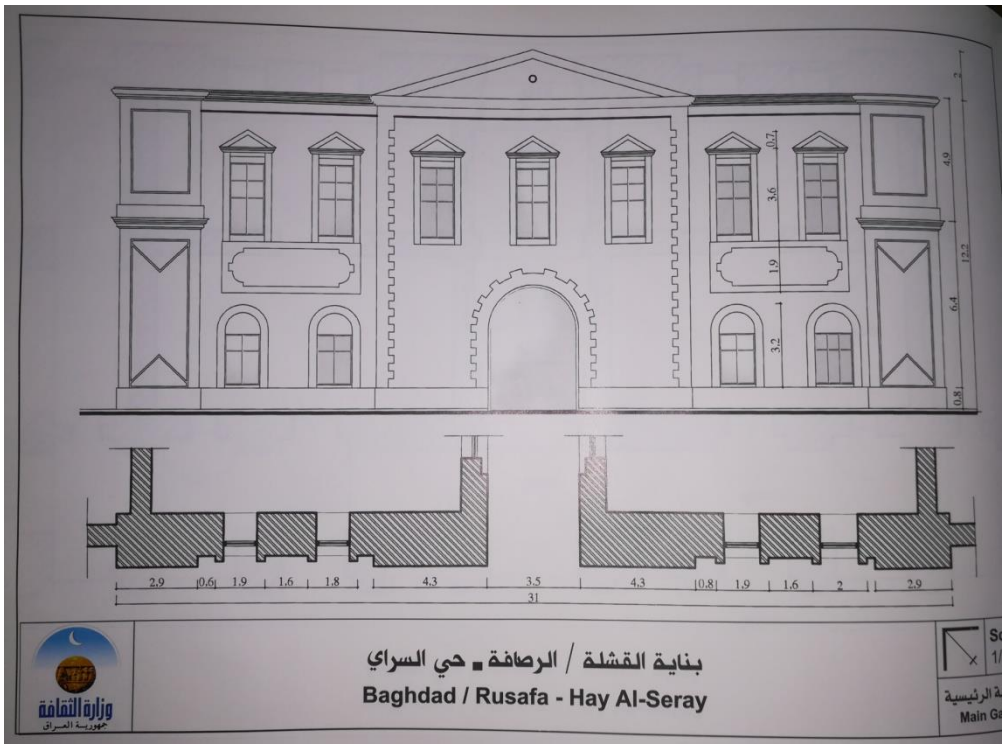

(المخطط ـ ٤) الواجهة الخارجية للمدخل الرئيس

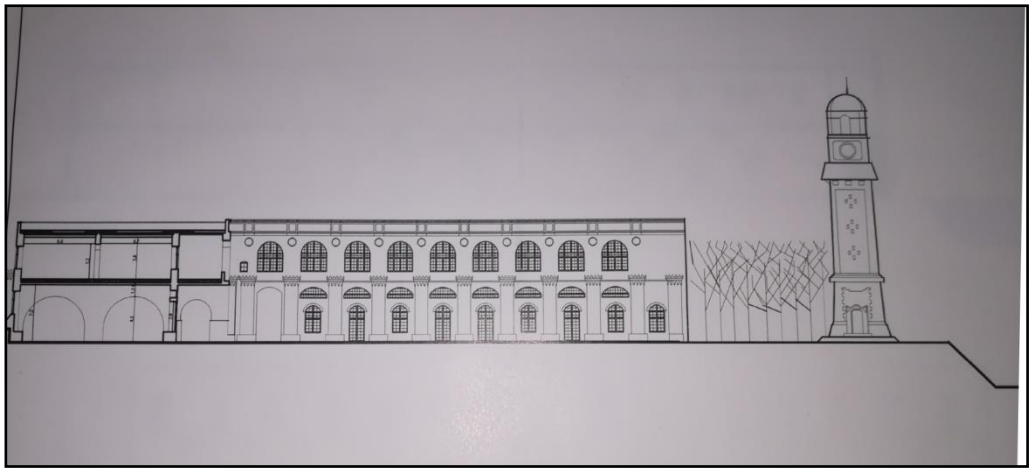

(المخطط ـ ٥) جانب من الواجهات الداخلية للقشلة

الرواق: (الصورة - ٤)

من الطبعي أن يختلف الرواق في الطابق الأرضي عنه في الطابق العلوي لأنهما غير متزامنين في التاريخ كما أسلفنا. فالأرضي مسقف بسلسلة من الأقبية تتجه نحو الصحن بصورة متعامدة يفصل بينها عقود نصف دائرية ترتكز من جهة الصحن على أكتاف فخمة ومن الجهة المقابلة ترتكز على أكتاف مندمجة مع الجدران الأصلية. والرواق في الطابقين يطل على الصحن بعقود منخفضة.

أما الرواق العلوي الذي يتقدم القاعات فيطل على الصحن بعقود ترتكز على أكتاف كما هي الحال في الطابق الأرضي. وسقفه في الأصل مستويا من الخشب الممتد على شكل عوارض اسطوانية تعلوها حصر من القصب وطبقة من الطين. وقد جدد السقف بعد تضرره نتيجة الإهمال والتقادم وتسرب مياه الأمطار وانتشار دودة الأرضة واستبدل بالحديد (الشيلمان) والآجر.

(الصورة - ٤) رواق الطابق الأرضي

القاعات:

لسعة القاعات الأربعة الممتدة على يمين ويسار المدخل الرئيس وصعوبة تسقيفها عمد المعمار إلى أقامة صف من الأكتاف المربعة الفخمة في وسط القاعات كي ينصفها ليسهل بعد ذلك تسقيفها في الطابق الأرضي بأقبية محمولة على عقود نصف دائرية ترتكز على الأكتاف المذكورة، أما الأكتاف في الطابق العلوي فقد حملت سلسلة من العقود المتصلة لتصبح بائكة يرتكز عليها من الوسط أطراف عوارض الحديد (الشيلمان) ويكون الطرف الأخر للحديد على الجدران الخارجية. علما إن طول ضلع الكتف ١.٤٠م.

الصحن:

وصحن القشلة الذي أريد منه أن يكون ساحة للتدريب وفي الوقت نفسه متنفسا للأجنحة البنائية وإضاءة القاعات التي تستمد منه الضوء والهواء عبر نوافذها الكبيرة، كان في الأصل مفتوحا من جهة النهر وخاليا من الأبنية باستثناء برج الساعة الذي أضيف في زمن مدحت باشا. ومنذ تغير استعمال القشلة شهد الصحن إضافة العديد من الأبنية في فترات تاريخية مختلفة وعلى سبيل المثال أنشئت وزارة العدلية لها بناية بجوار برج الساعة سنة ١٩٣٢م. واستعمل الصحن موقفا لسيارات الدوائر الحكومية التي شغلت البناية، وبنيت فيها مخازن وبناية تابعة لوزارة الري(٩). ومن المفيد ذكره إن صحن القشلة قد تحول منذ سنوات طويلة الى حديقة وقد لاقت في الصيانة الأخيرة التي قامت بها أمانة العاصمة عناية فائقة حتى غدت ذات طبيعة خلابه مزروعة بشتى انواع الأشجار والورود.

برج الساعة: (الصورة - ٥)

يتوسط الصحن برج يطل على النهر مبني بالآجر والجص ارتفاعه ٢٣م(١٠) يتكون من ثلاث طبقات الطبقة الأولى تمثل القاعدة وهي منشورية الشكل ضمت مدخلا متوجا بعقد يقود إلى سلم من الخشب سرقة درجاته مع الساعة القديمة بعد الاحتلال الأمريكي للعراق، وهو مرتب بشكل حلزوني ينقطع بعد بلوغه الساعة. وينتصب فوق القاعدة بدن ذات قطاع مربع مزود بفتحات للإضاءة مستطيلة الشكل عددها في كل وجه (١٢) موزعة بشكل هندسي على ثلاثة مجاميع منتظمة. والبدن متوج ببروز محمول على كوابيل يليه رقبة مربعة تحمل في كل وجه من وجوهها الأربعة ساعة دقاتها تسمع على رأس كل ساعة من بعيد نصبت عام ١٨٦٩م(١١). وقد توج البرج بعد الصيانة بقبيبة تقوم على هيكل من البناء مكعب الشكل فتحت فيه أربعة نوافذ. وقمة البرج التي تشاهد اليوم تختلف عن الأصل طبعا.

(الصورة - ٥) برج الساعة

بقي أن نذكر أن بناية القشلة تعرضت إلى صيانة مرات عديدة مع زيادات أودت بالكثير من عناصرها الأصلية، ونظرة سريعة إلى الصور القديمة التي خلصت إلينا من بدايات القرن الماضي نستطيع أن نتلمس معظم التغيرات الطارئة عليها لاسيما في مواد البناء وكثرة استخدام الآجر الحديث في تغليف الواجهات مع استخدام الحديد (الشيلمان) في تسقيف الطابق العلوي، والتغيير شمل تبديل النوافذ ومعظم الأبواب، وكذلك أكساء الأرضيات بالرخام بعد أن كانت مفروشة مع السطح بالآجر المربع (الفرشي).

المقارنة:

لقد سعى الأتراك إلى بناء عدد من القشل في مدن العراق ومنها البصرة، حيث لم تكن في البصرة قلعة داخلية كما في بغداد والموصل، بل كان السراي الذي اعتنى به الولاة المتعاقبون على إدارة البصرة يقوم مقام القلعة الداخلية. فضلا عن وجود الثكنات العسكرية العديدة التي كانت كل واحدة منها مخصصة لأحد أصناف الجيش كالثكنة الخاصة بالقوة البحرية (القوبدان) أو ثكنة المدفعية (الطوبخانه) أو ثكنة الجند المشاة (القشلة).

والقشلة أو كما تسمى ثكنة الجند المشاة في العشار(١٢) هي بناية ضخمة مشيدة بالآجر مستطيلة الشكل تتكون من طابق واحد، ولها أربعة أجنحة بنائية على شكل قاعات وحجرات كبيرة صممت لتلبي متطلبات الجند وتكون ملائمة لإقامتهم. وقد فتح في وسط احد الأجنحة الأربعة مدخل كبير جعل من طابقين تتقدمه كنه على الطراز العثماني ،وهي تنفتح على الخارج بعقود مدببة مقامة على أعمدة.(الصورة - ٦)

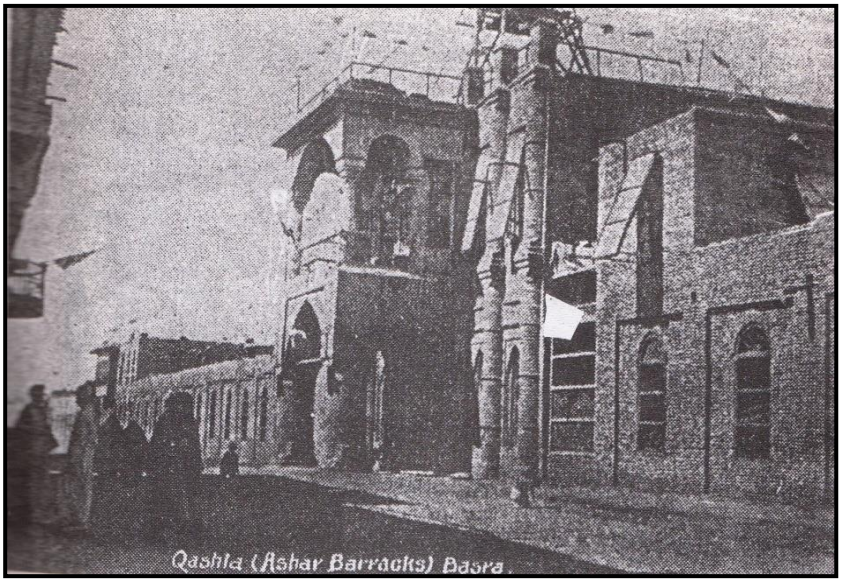

(الصورة - ٦) القشلة العثمانية في العشار سنة ١٩١٠م

كما يتميز الجزء الذي يعلو المدخل بطرازه المعماري. حيث يضم الطابق الأرضي فضلا عن فتحة المدخل حجرات على الجانبين ويبدو أن الطابق العلوي استغل شرفة أو منصة تنفتح على صحن الثكنة محمولة على أعمدة خشبية لها تيجان. والصعود إلى هذه الشرفة يتم بواسطة سلمين على جانبي فتحة المدخل من الداخل. وهي بهذا التخطيط تختلف عن قشلة بغداد موضوع الدراسة.

ومن الملاحظ إن الجدران الخارجية للبناية تتخللها مجموعة كبيرة من النوافذ لإضاءة القاعات والحجرات وتهويتها في الأجنحة البنائية الأربعة، كما هي الحال في قشلة بغداد وهذه النوافذ مستطيلة الشكل تعلوها عقود نصف دائرية وتتقدمها مشبكات حديد(١٣).

وفي كركوك أنشا الأتراك قشلة مؤرخة في عام ١٢٨٠هـ (١٨٦٣م) كما تشير أبيات الشعر العثمانية المحفورة على لوح من الرخام فوق المدخل(١٤). وقد عرفت بالعزيزية نسبة إلى السلطان عبد العزيز خان حيث تعد أهم بناء أنشا في كركوك طيلة العهد العثماني(١٥).

وهي مستطيلة الشكل (١٠١م× ١٢٤م) تبلغ مساحتها المسجلة في سجلات الطابو ثلاثة عشر ألف متر مربع تقريبا، محصنة بسور ارتفاعه يربو على تسعة أمتار مسند بدعامات بارزة، ويتوسط كل ضلع من أضلاعها الأربعة مدخل مازال الرئيس قائما في وسط الضلع الجنوبي تتقدمه كنه من طابقين كما في قشلة البصرة. وصحن القشلة في كركوك واسع تحيط به القاعات والغرف من طابقين يتقدمها في الطابق الأرضي اواوين صغيرة تنفتح على الصحن بعقود كما في خانات بغداد التجارية. في حين تتقدم الغرف في الطابق العلوي اروقة تنفتح على الصحن بعقود مدببة تقوم على اعمدة حجرية قصيرة. وعلى الرغم من تزامن البناء بين القشلتين كركوك وبغداد إلا أنهما لا يتشابهان في التخطيط ويختلفان في شكل البناء حيث اعتمد المعمار في كركوك على الحجارة غير المنحوتة والجص كما استخدم الرخام الموصلي (الفرش) في العقود والاعمدة. (الصورتان – ٧ و ٨)

والحقيقة لم يبق من القشلة اليوم قائما إلا الجناح الجنوبي ونصف الجناح الغربي. وقد أزيلت باقي الأجنحة في عام ١٩٧٦م حيث استخدمها الجيش العراقي لفترة طويلة ثم استخدمت بعد ذلك مستودعا عسكريا. وأخيرا عهد بها إلى مديرية الآثار العامة عام ١٩٨٦م للمحافظة عليها بوصفها جزءا من الموروث الحضاري للمدينة.

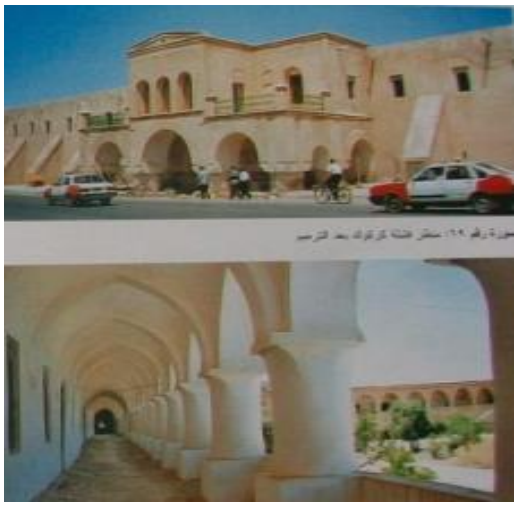

(الصورة ـ ٧) قشلة كركوك الواجه والرواق عن الساعجي

(الصورة ـ ٨) قشلة كركروك عن الساعجي

واذا انتقلنا الى بعض القشل المقامة في المدن العربية التي خضعت للسيطرة العثمانية ومنها بيروت التي فرضت فيها السلطة العثمانية نفسها بعد عودتها عام ١٨٤٢م من خلال المظاهر الحضارية الجديدة المتمثلة بالابنية الحديثة وعلى راسها القشلة المشيدة على الربوة المشرفة على المدينة لتكون مقرا للاجهزة العسكرية والمدنية في الدولة العثمانية في بيروت وتعرف بالقشلة الهمايونية. كما اقامة خارج الاسوار سراي. وعدد من الابنية التجارية المرتبطة بالميناء(١٦).

ومبنى القشلة مؤلفاً من ثلاثة طوابق الأرضي للإقامة الجنود والسفلي للخيول وأضيف طابق أخر علوي في عهد السلطان عبد الحميد الثاني والى جانبها مستشفى عسكري عرف باسم "الخستخانة". وللقشلة صحن واسع تحيط به الغرف ولها ثلاثة مداخل رئيسة. ويذكر أن والي بيروت عزمي بك هو الذي قلب هذه القشلة من ثكنة عسكرية إلى دار للحكومة وفرشها بما يلزم لذلك. وبعد سنة ١٩١٨م وسقوط الحكم العثماني اتخذتها السلطة الفرنسية مركزاً لها وأضافت إليها درجاً في الجهة الشمالية وأنشأت فوقه شرفة يطل منها المفوض السامي ثم رؤساء الحكومات بعده لتحية الجمهور عند اجتماعه في الساحة وإلقاء الخطب. (الصورة - ٩)

(الصورة - ٩) صورة حديثة لقشلة بيروت (googel)

وطبيعي أن تختلف قشلة بيروت عن قشلة بغداد في التخطيط وشكل العمارة، وابرز أوجه الاختلاف تكمن في طريقة التسقيف حيث اعتمد المعمار في تسقيفها الشكل المسنم بالقراميد نظرا لتواتر الثلوج في فصل الشتاء هناك. أما جدرانها فبنيت بالحجارة الرملية، والقراميد على الأرجح أضيفت في عام ١٨٩٩م . في حين اعتمد المعمار في بغداد على التسقيف بالأقبية المبنية بالآجر بوصفها تقليد محلي يقع ضمن المعالجات العمارية ذات الصلة بالأجواء الحارة. كما أنها تختلف عن قشلة بغداد في عدد الطبقات واستغلال الطابق السفلي مرابط للخيول لاسيما وقت الشتاء للمحافظة عليها من قساوة الجو البارد والأمطار التي تهطل بغزارة في بيروت. أما في بغداد فالخيول كانت تربط في الصحون والأماكن المكشوفة لاعتدال الجو في معظم أيام فصل الشتاء.

ولما كانت قشلة دمشق تتقارب من حيث العمارة من قشلة بيروت فمن البدهي أن تختلف في جل تفاصيلها وتخطيطها عن قشلتنا موضوع الدراسة. وقشلة دمشق المعروفة بمساحتها الواسعة وفخامة بنائها مشيدة أبان الولاية الأولى لوالي الشام المصلح حسين ناظم باشا (١٨٩٥-١٩٠٧م) وسميت بالحميدة نسبة للسلطان عبد الحميد الثاني. وقد صممت لتسع خمسة ألاف جندي من أفراد الفيلق الرابع المتمركز في دمشق. وكانت تحتوي على اصطبلات ومخازن ودار للبيطرة.

(الصورة - ١٠) صورة قديمة لقشلة دمشق (googel)

والحقيقة لم يراع المعمار في قشلة دمشق الوسائل الدفاعية فجعلها مفتوحة من كل الجهات على الخارج بنوافذ كبيرة وجدت لاضاءة الحجرات والغرف وتهويتها. وقد زودت أركانها الأربعة بأبراج واسعة مربعة يمكن من خلالها المراقبة ومشاهدة محيط القلعة بيسر لأنها تتكون من طابقين ومزودة بنوافذ كبيرة أيضا.(الصورة - ١٠)

والشبه في شكل العمارة وعناصرها مع قشلة بيروت امتد ليشمل طريقة التسقيف وبروز كتلة المداخل التي توسطت الأجنحة البنائية، ومادة البناء في كلا القشلتين هي الحجر والجص. وبقايا القشلة المشغولة اليوم من قبل بعض كليات جامعة دمشق مازالت محافظة على شكلها القديم رغم التحديث الذي طرأ عليها.

ومن المفيد تسجيله هنا إن قشلة دمشق شديدة الشبه بالخان الذي أقامه العثمانيون في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي في مكة المكرمة لاستقبال قوافل الحجيج القادمة في موسم الحج وقوامه صحن واسع تحيط به أربعة أجنحة بنائية من طابقين. مما يؤكد إن التقارب بالوظيفة تتيح بالضرورة أنتاج عمارة متقاربة في الشكل والتخطيط.(الصورة - ١١)

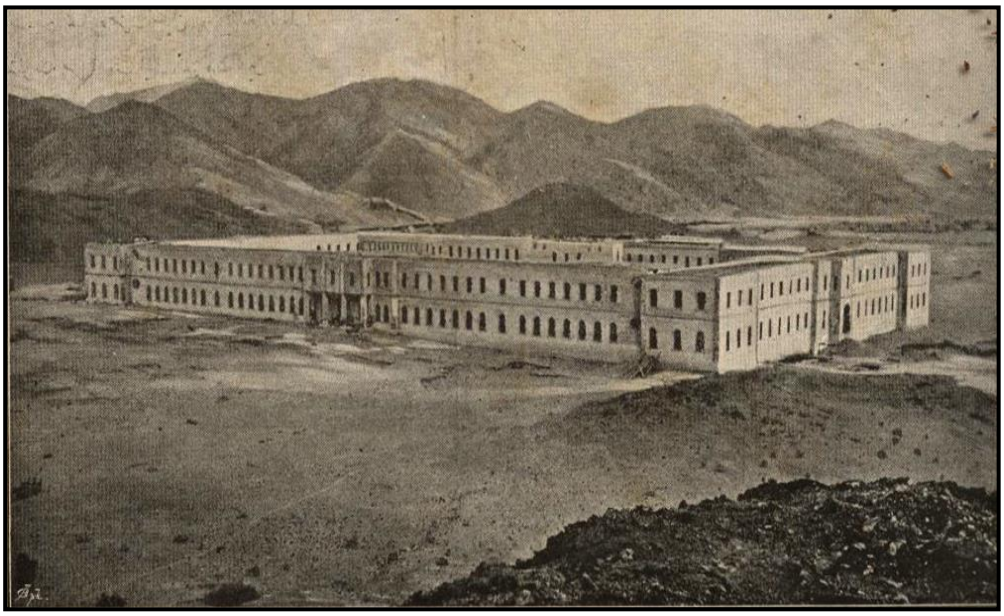

(الصورة - ١١) خان عثماني في مكة المكرمة

وإذا تركنا بلاد الشام وعرجنا على الشمال الأفريقي لنقف عند اكبر قشلة أقامها العثمانيون في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي مازالت قائمة في مدينة بنغازي الليبية غير بعيدة عن ساحل البحر المتوسط. وتعرف بـ "قصر البركة". وموضعها مرتفع تشرف منه على المدينة وميناؤها وتسيطر على المنطقة المحيطة بها من كل الجهات. وهذا المشروع الكبير مصمم لإيواء عدة آلاف من الجند وتدريبهم. وقد سعى الأتراك إلى توفير ما يحتاجه الجند من مستلزمات تعينهم على الإقامة، كما زود بساحة تدريب واسعة ومسجد(١٧). (الصورة - ١٢)

(الصورة - ١٢) قشلة بنغازي عام ٢٠١٠م تصوير الباحث

شرع في بناء قشلة بنغازي والي برقة الحاج رشيد باشا، وذلك في نهاية عام ١٨٨٩م. كي تكون مقراً جديداً لإقامة الحامية العسكرية الخاصة بمتصرفية بنغازي، بعيداً عن مركز المدينة وقلعتها القديمة الواقعة على شاطئ البحر، بعد أن أصبحت الأخيرة غير ملائمة ولا تلبي متطلبات الإدارة والجند. إلا أن هذا المشروع قد تأجل العمل به لعدة سنوات بسبب تدهور الحالة الاقتصادية في برقة وما صاحبها من كوارث وأمراض. وكان رشيد باشا قد أنجز قبل وفاته (١٨٩٣م) معظم البناء، الأمر الذي سهل على خلفه طاهر باشا إتمام المشروع بسنة واحدة فقط، والأخير قد باشر فعلاً في تكملة البناء عام ١٨٩٥م وأصبح المعسكر في هذه السنة يستضيف جند الحامية للإقامة والتدريب. (١٨).

على الأرجح أن قشلة بنغازي كانت مصممة أصلا لتكون على شكل مستطيل يضم أربعة أجنحة بنائية بطابقين كما في قشلة دمشق. لكل جناح مدخل واسع يقع في منتصفه تماما، وهذا التخطيط يتماشى مع المباني العسكرية سواء كانت قلاع أم قشل بوصفها ثكنات معده لإيواء ألاف من الجند في فصل الشتاء. أو أن تكون قشلة بنغازي مصممة أصلا على شكل مستطيل مفتوح من احد جهاته لتصبح قريبة من شكل الحرف اللاتيني U، أي أن البناية تكون مفتوحة من احد الجهات كما هي الحال في قشلة بغداد.

إذن عدم وجود موانع طبيعية قادرة على توفير الحماية اللازمة من الجهة الخلفية لقشلة بنغازي في وقت الخطر كما في قشلة بغداد. يجعنا نرجح أن تصميمها الأصلي كان مغلقاً أي يتكون من أربعة أجنحة بنائية تنفتح على ساحة واسعة للتدريب، بيد أن العثمانيين لم يتمكنوا من تنفيذ كافة الأجنحة بسبب الظروف الاقتصادية وقلة الإيرادات واكتفوا بتنفيذ المرحلة الأولى من البناء المتمثلة بالواجهة أو الجناح الأمامي مع أبراجه الركنية وشيئا من أساسات الجناحين الشرقي والغربي، ثم قُدر للايطاليين بعد الاحتلال مباشرة (١٩١١م) تكملة بناء الجناحين. (الصورة - ١٣)

(الصورة - ١٣) قشلة بنغازي من الداخل تصوير الباحث

والجزء العثماني ينحصر بالواجهة الأمامية للقشلة وطوله ١٥٥م مبني من طابقين في كل من طرفيه برج مربع مزود بنوافذ واسعة كما في قشلتي بيروت ودمشق، والمدخل يقع في منتصف هذا الجناح مفتوح وسط كتلة بارزة عن سمت الجدران. وهو متوج بعقد نصف دائري يودي الى ايوان واسع. والابنية على يسار الداخل الى الايوان تتكون من طابقين أرضي وعلوي في حين البناء الواقع على يمين الداخل يتألف من ثلاثة طوابق على شكل سرداب يليه طابقان. والأقسام معظمها مخصص للإقامة الجند وهي مصممة على شكل قاعات كبيرة، وبعضها مصمم على شكل أجنحة للضباط ومكاتب إدارية وسجن ومطابخ ودورات مياه ومخازن وإسطبلات، فضلا عن ساحة للتدريب.

الخلاصة:

انصبت الدراسة على قشلة بغداد من الناحيتبن التخطيطية والعمارية ومقارنتها بمجموعة من القشل التي ما زالت قائمة في عدد من المدن العراقية والعربية ومنها كركوك وبيروت والشام وبنغازي. والاطلاع على طبيعة تخطيطها وبنائها صار بمقدورنا الوقوف على أهم النقاط التي توصل إليها البحث.

انفردت قشلة بغداد بتخطيطها المنسجم مع الفراغ المحدد ضمن المساحة الكلية. وتناغمت مع الأبنية التراثية المحيط بها سواء كانت تلك الأبنية عسكرية أم مدنية.

على الرغم من كون القشلة بناية عسكرية بحته إلا أن المعمار قد راعا عند رسم واجهاتها النواحي الفنية والجمالية فزينها بأبراج مربعة من الخارج واسطوانية من الداخل متوجة بشرافات محمولة على كوابيل لتقليل الممل وكسر الرتابة. وجملها ببعض العناصر الزخرفية كالدوائر المشغولة بالأطباق النجمية والمحفورة في أعلى الأكتاف ليضفي عليها نوعا من الحركة ويؤكد في الوقت نفسه حرصه واهتمامه بنواحي الجمال.

الاعتماد على المواد المحلية في البناء من اجر وجص وخشب أكد هوية المعمار العراقي الذي وضع بصماته في تشييدها فأبدع في صنع أقبيتها وعقودها وأكتافها وسقفها المستوي من الخشب في الطابق العلوي، وكان التنفيذ على الطريقة البغدادية.

جميع القشل العثمانية المشيدة في مختلف البلاد العربية والإسلامية مغلقة تتكون من أربعة أجنحة بنائية مرتبة حول صحن واسع مكشوف، ما عدا قشلتنا تختلف في تخطيطها لأنها تتكون من جناحين متعامدين فقط كما أسلفنا.

لعل تنوع التخطيط أو وحدته في القلاع العثمانية والقشل يعود إلى اهتمام الأتراك بالعلوم العسكرية والعمائر المرتبطة بها كأسوار المدن والقلاع والقشل أو الثكنات، وقد أسسوا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر لذلك مدارس حربية خاصة في بعض الولايات أسهمت في تعليم مبادئ علم الهندسة وخلق دراسات حول المنشآت الدفاعية وفن التحصين، وهذه الدراسات تكون عادة مزودة بمخططات ورسوم دقيقة. ومن أهم الأمثلة المدرسة الإعدادية العسكرية في بغداد(١٩) وفي الشمال الأفريقي مدرسة باردو الحربية بتونس التي اهتمت خلال القرن التاسع عشر بترجمة الكتب بجانب تدريسها اللغات والحساب والهندسة والجغرافيا وعلم التحصين والصناعات الحربية والقوانين العسكرية(٢٠).

الاحالات

١- نظمي زاده مرتضي، كلشن خلفا، نقله إلى العربية موسى كاظم نورس، مطبعة الآداب ، النجف، ١٩٧١م، ص٢٣٣.

٢ - ولستيد، جيمس ريموند، رحلتي إلى بغداد في عهد الوالي داود باشا، ترجمة سليم طه التكريتي، مطبعة الثويني، بغداد (١٩٨٤م). ص٢٠

نجلة إسماعيل العزي، سراي بغداد والقشلة، سومر، ج١-٢، م٣٤، سنة ١٩٧٨م، ص ٢٢٣.

٣ - عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج٧، شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد، ١٩٥٥، ص٨٩.

٤ - نجلة إسماعيل العزي، المرجع السابق، ص٢٣٢.

٥ - وليم فوك، أحوال بغداد في القرن التاسع عشر، ترجمة عبود الشالجي المحامي، سومر، م١٦، ١٩٦٠م، ص٢٤.

٦ - ثامر عبد الرزاق الحديثي، التطوير الفيزياوي للقشلة وسراي بغداد، رسالة ماجستير غير مطبوعة مقدمة الى كلية الهندسة جامعة بغداد، ١٩٧٨م، ص٩٤.

٧- ألأنسي، قاموس اللغة العثمانية المسمى الدراري اللامعات في منتخبات اللغات، مطبعة جريدة بيروت، بيروت (١٣١٨هـ)، ص٤٢٠.

٨ - سعدي إبراهيم الدراجي، القلاع العثمانية في برقة ١٦٣٨-١٩١٢م، مدونة الآثار العثمانية، أعمال المؤتمر العالمي الخامس ، مؤسسة التميمي، تونس، ٢٠٠١م، ص٤٢.

٩ - ثامر عبد الرزاق الحديثي، المرجع السابق، ص٩٥

١٠ - نجلة اسماعيل العزي، المرجع السابق، ص٢٣٢.

١١ - باقر امين الورد، حوادث بغداد في ١٢ قرن، الدار العربية للطباعة، بغداد، ١٩٨٨م، ص٢٨٤.

١٢ - عبد القادر باش اعيان العباسي، البصرة في ادوارها التاريخية ، مطبعة دار البصرة ، ١٩٦١م، ص٦٣

١٣ - سعدي ابراهيم الدراجي، تحصينات مدينة البصرة في العصر العثماني، دور البصرة في التراث العلمي العربي، مركز احياء التراث، جامعة بغداد،١٩٩١م، ص٤١٢.

١٤ - خالد سويد ظاهر الدرة، قشلة كركوك (الثكنة العسكرية)، مجلة سومر، م٣٤، ١٩٨٥-١٩٨٦، ص٢٤١.

١٥ - صبحي ساعجي، كركوك وهويتها العمرانية، كركوك ، ٢٠١٠، ص

١٦ - Davie,Michel.F, Du belgin- Les a la Qichlat et au Serail de Beyrouth (XIXe – Xxes.), Archeologi Ottomane N–8, Actesdu Ve Congres international, 2001, P.25

١٧ - محمد مصطفى بازامه، بنغازي متصرفليك، تاريخ برقة في العهد العثماني الثاني، ج٣، دار الحوار الثقافي العربي الأوروبي، قبرص، ١٩٩٤م.ج٣، صفحات ٣٨٣،٣٨٩،٣٩٥،٤١٠.

١٨ - صادق مؤيد العظم، رحلة في الصحراء الكبرى بأفريقيا، ترجمه عن العثمانية عبد الكريم أبو شويرب، دار المحيط العربي، بيروت(١٩٩٨)، ص٣٥.

١٩ - بغداد من خلال وثائق الأرشيف العثماني، ترجمة فاضل البياتي، استانبول، ٢٠٠٣م، وثيقة ٤٢، ص٠١٠٦

٢٠- مدرسة باردو الحربية، دراسة وتحقيق محمود عبد المولى، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس،(١٩٧٧)، ص١١٢.

سلامة عبد الحكيم القفصي ، ملاحظات حول المنشآت الدفاعية من خلال بعض المخطوطات التونسية في القرن التاسع عش، المؤتمر العالمي الأول المدونة الأثر العثمانية، تونس (١٩٩٧) ، ص٤٨.

المصادر والمراجع

- ثامر عبد الرزاق الحديثي، التطوير الفيزياوي للقشلة وسراي بغداد، رسالة ماجستير غير مطبوعة مقدمة الى كلية الهندسة جامعة بغداد، ١٩٧٨م.
- ألأنسي، قاموس اللغة العثمانية المسمى الدراري اللامعات في منتخبات اللغات، مطبعة جريدة بيروت، بيروت ١٣١٨هـ.
- باقر امين الورد، حوادث بغداد في ١٢ قرن، الدار العربية للطباعة، بغداد، ١٩٨٨م.
- خالد سويد ظاهر الدرة، قشلة كركوك (الثكنة العسكرية)، مجلة سومر، م٣٤، ١٩٨٥-١٩٨٦.
- سعدي ابراهيم الدراجي، القلاع العثمانية في برقة ١٦٣٨-١٩١٢م، مدونة الاثار العثمانية، اعمال المؤتمر العالمي الخامس ، مؤسسة التميمي، تونس، ٢٠٠١م.
- سعدي ابراهيم الدراجي، تحصينات مدينة البصرة في العصر العثماني، دور البصرة في التراث العلمي العربي، مركز احياء التراث، جامعة بغداد،١٩٩١م.
- سلامة عبد الحكيم القفصي ، ملاحظات حول المنشآت الدفاعية من خلال بعض المخطوطات التونسية في القرن التاسع عشر، المؤتمر العالمي الأول المدونة الأثر العثمانية، تونس، ١٩٩٧.
- صادق مؤيد العظم، رحلة في الصحراء الكبرى بأفريقيا، ترجمه عن العثمانية عبد الكريم أبو شويرب، دار المحيط العربي، بيروت، ١٩٩٨.
- صبحي ساعجي، كركوك وهويتها العمرانية، كركوك ، ٢٠١٠
- عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج٧، شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد، ١٩٥٥م.
- عبد القادر باش اعيان العباسي، البصرة في ادوارها التاريخية ، مطبعة دار البصرة ، ١٩٦١م.
- غيرهارد رولفس، رحلة من طرابلس إلى الإسكندرية، ترجمة عماد الدين غانم، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، مطابع المؤسسة التعليمية للوسائل التعليمية، حلب، ٢٠٠٢م.
- محمد مصطفى بازامه، بنغازي متصرفليك، تاريخ برقة في العهد العثماني الثاني، ج٣، دار الحوار الثقافي العربي الأوروبي، قبرص، ١٩٩٤م.
- مدرسة باردو الحربية، دراسة وتحقيق محمود عبد المولى، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس، ١٩٧٧.
- نجلة إسماعيل العزي، سراي بغداد والقشلة، سومر، ج١-٢، م٣٤، سنة ١٩٧٨م.
- نظمي زاده مرتضي، كلشن خلفا، نقله إلى العربية موسى كاظم نورس، مطبعة الآداب ، النجف، ١٩٧١م.

- ولستيد، جيمس ريموند، رحلتي إلى بغداد في عهد الوالي داود باشا، ترجمة سليم طه التكريتي، مطبعة الثويني، بغداد (١٩٨٤م).

- وليم فوك، احوال بغداد في القرن التاسع عشر، ترجمة عبود الشالجي المحامي، سومر، م١٦، ١٩٦٠م.
- Davie,Michel.F, Du belgin- Les a la Qichlat et au Serail de Beyrouth (XIXe – Xxes.), Archeologi Ottomane N–8, Actesdu Ve Congres international, 2001.